حُجْرٌ آكلَ المُرار؛ لأن السَّليحيَّ أغار عليه، فأخذ امرأتَه هند بنت ظالم بن وهبٍ بن معاوية الأكرمين فقال لها: كيف رأيتِ حُجْراً؟ فقالت: شديد الطّلب، حثيث الكَلَب، كأنه بعيرٌ أكل مُراراً، وهو نَبْتٌ حارّ[1] تتقلَّص منه شَفَة البعير.

فأقام على الحيرة مدَّة، فلما مات قباذ وولي أنوشِروان؛ وَلّى على الحيرة المُنذر بن ماء السَّماء، فهرب منه الحارث، واتَّبعتْه خيلُ المنذر ففاتَهم، فأدركوا ابنَيْه عَمْراً وحُجْراً فقتلوهما[2].

فصل في ترجمة امرىء القيس بن حُجْر

وكان حُجْر قد طَرد ابنَه امرأ القيس لأجل عُنَيْزة، واسمُها: فاطمة، فإنه عشقها، وشَبّب بها في أشعاره، وعَرّض بالدَّخول وحَوْمل وتُوضِحَ والمِقْراة، وكل هذه أماكن بحوران وما والاها، وقيل بالعراق.

وقال الشعر، وبلغ أباه، فقال لعبدٍ له: اذهب فاقتُلْه، وائتِني بعينَيه، فذبح العبدُ شاةً، وجاءهُ بعينَيْها، فندم وبكى، فرقَّ له العبدُ وأخبره أنه لم يَقتُله، ففرح أبوه، وأعتقَ العبدَ وقال: عليَّ به، فجاء به، فاستَتابَه من قول الشعر، فقال: [من الطويل]

ألا انْعَمْ صباحاً أيُّها الطَّللُ البالي[3]

فطرده، فغاب عنه مدةً، فلما قَتل المنذرُ أباه حُجْراً قال: ضَيَّعني صغيراً وحَمَّلني دمَه كبيراً. ثم آلى ألّا يأكلَ لحماً، ولا يشربَ خمْراً حتى يأخُذَ بثأر أبيه.

فخرج إلى قيصر ملك الروم مستصرخاً به على المنذر، فأكرمه وأنزله، فعشقَتْه ابنةُ قيصر، فكان يأتيها. وكان الطِّرمّاح بن قيس الأسدي الشاعر[4] عند قيصر، فوشى به

= الشعراء ١/ ٥١، والشعر والشعراء ١/ ١١٤، والمؤتلف والمختلف ص ٥، والأغاني ٩/ ٧٧، وجمهرة ابن حزم ٤٢٧، وتاريخ دمشق ٣/ ٩١.

(١) في النسخ: وهو بيت حمار، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٢) المنتظم ٢/ ١٣٨.

(٣) تمامه: وهل يَعِمَن مَنْ كان في العُصُر الخالي، وهو في ديوانه ص ٢٧.

(٤) كذا في النسخ وأصل المنتظم ٢/ ١٣٩ والمصنف ينقل عنه، وهو خطأ صوابه: الطمّاح بن قيس الأسدي، وليس بالشاعر، انظر الشعر والشعراء ١/ ١٠٩، ١٢٠، والأغاني ٩/ ٩٩، والكامل لابن الأثير ١/ ٥١٨، وديوان امرئ القيس ص ١٠٨.

إليه، فطلبه، فأدركه الطلب عند أَنقِرة، أو دونها بيوم، وكان مع الرسول حُلَّةٌ مسمومة فألبسه إياها في يومٍ صائفٍ، فتناثر لحمُه، ومات فدُفن بأَنقِرة.

وكان إذا عَرِق فاحتْ منه ريحُ الكلب، فكنّ النساء يَكرهنَه لذلك، وكانت أمُّه قد ماتت وهو رضيع، فطلبوا له من يُرضعُه فلم يجدوا، فأرضعوه بلَبنِ كَلْبة أيّاماً.

وتزوج امرأةً، فطالت ليلتُها معه فقال لها: ما كرهتِ مني؟ فقالت: أنت سريعُ الإراقة، بطيء الإفاقة، ريحك ريحُ كلبٍ فطَلِّقني، فطلقها[1].

وكان امرؤ القيسِ يُلقَّب بالملك الضِّلّيل وذي القروح، وأمه: تَملك، وقيل: اسمها هند بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الأكرمين[2]. وامرؤ القيس أوَّلُ من اخترع المعاني اللطيفة مع قُرب المَأخذ.

ورُوي أنه قدم وَفدٌ على النبيّ ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا ضَلَلنا الماء فعَطِشنا، وإذا براكبٍ على قَلوصٍ، وهو يَترنَّم ويقول: [من الطويل]

ولـمّـا رأتْ حَـرَّ الـهَـجـيـر بـكَـفِّـهـا ... وبَرْدَ الحَصى من تحت أرجُلِها حامي

تـيـمَّـمَـتِ الـعَـيْـنَ الـتـي عـنـد ضـارجٍ ... يَـفـيءُ عـلـيـهـا الـظِّـلُّ عَـرْمَـضُـهـا طـامي

ثم قال الراكب: أتدرون مَن قائلُ هذا الشّعر؟ قلنا: لا. قال: امرؤ القيس، وهذه ضارجٌ ترونها، فسرنا خطواتٍ، وإذا بعين ماءٍ عذبٍ عليها العَرْمَض[3] فشربنا، ولولاه لمتنا عطَشاً، فأحيانا الله ببيتين من الشعر، وكان كلُّ واحدٍ منّا قد جلس تحت شجرةٍ يَنتظر الموت، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك رجل مشهورٌ في الدنيا، خامِلُ الذّكر في الآخرة، يجيءُ يومَ القيامة ومعه لواءُ الشعراء، يقودُهم إلى النّار».

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: لا يصح هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، في إسناده أبو الجَهْم عن الزهري، وأبو الجهم مجهولٌ[4].

---

(١) المنتظم ٢/ ١٣٩ـ١٤٠، وانظر الشعر والشعراء ١/ ١٢١.

(٢) انظر الأغاني ٩/ ٧٧ـ٧٨، والمنتظم ٢/ ١٣٨، وذكر ابن قتيبة في الشعراء ١/ ١١٤ـ١١٥ أن أمّه هي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير.

(٣) هو الطُّحلب.

(٤) انظر الشعر والشعراء ١/ ١١١ـ١١٢، ١٢٦، والمنتظم ٢/ ١٤٠، ومسند أحمد (٧١٢٧)، والجرح والتعديل ٩/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، والعلل المتناهية ١/ ١٣٨.

قال المصنف رحمه الله: قد روى ابن عساكر هذا الحديث، وذكر له ثلاثين طريقاً، ولم يبين ما فيه، وما كان يخفى عنه ذلك[١].

ولما خرج امرؤ القيسِ إلى قيصر أخرج معه عمرو بنَ قَمِيْئَةَ الشاعر، ويُعرَف بالضَّائع، وهو أقدمُ من امرىء القيس وأكبرُ سِنّاً منه، بلغ تسعين سنةً، ومات في طريقه إلى الروم. وإنما سمَّتْه العربُ: الضّائع؛ لموته ببلاد الروم في دار غُربةٍ من غير مَطلبٍ ولا أَربٍ. وهو الذي رثاه امرؤ القيس بقوله: [من الطويل]

بكى صاحِبي لمَّا رأى الدَّربَ دونَه ... وأيقنَ أنَّا لاحِقانِ بقَيصَرا
فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنّما ... نُحاوِلُ مُلْكاً أو نموتَ فنُعذَرا[٢]

قال ابن ماكُولا: أوَّلُ مَنْ عَمِل في الخيالِ شعراً عمرو بنُ قَميئة، وهو قوله: [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزْتُ تسعين حِجَّةً ... خَلعتُ بها عنِّي عِذارَ لِجامي
رَمتْني بناتُ الدَّهر من حيث لا أرى ... فما بالُ مَن يُرمى بغير سهامِ
وأهلَكني تَأميلُ يومٍ وليلةٍ ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ[٣]

فصل في ملوك الرّدافة

وإردافُ الملوك في الجاهلية: هو أن يجلس الملك، ويجلس الرِّدفُ عن يمينه، فإذا شرب الملك شرب الرِّدفُ قبل الناس، وإذا غزا الملك جلس الرِّدفُ مكانَه، وكان خليفَتَه على الناس حتى ينصرف، فإذا عادت[٤] كتيبةُ الملك، أخذ الرِّدفُ منها المِرْباع[٥].

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٩٢ـ٩٩ (مخطوط).

(٢) ديوانه ص ٦٥ـ٦٦.

(٣) ديوانه ص ٤٤ـ٤٧، والإكمال لابن ماكولا ٥/ ٢٣٦، وتاريخ دمشق ١٣/ ٥٩١ـ٥٩٢، ولم يذكر ابن ماكولا وابن عساكر الأبيات التي عملها عمرو في الخيال، فذكر المصنف أبياتاً لا تدلّ على الخيال، والأبيات كما ذكر الشريف المرتضى في طيف الخيال ص ٩٩ هي:

نأتْكَ أمامةُ إلا سُؤالا ... وإلا خيالاً يوافي خيالاً
تُوافي مع الليل مُستَوطِناً ... وتأبى مع الصبح إلا زِيالا
خيالٌ يُخَيِّلُ لي نَيْلَها ... ولو قَدَرَتْ لم تُخَيِّل نَوالاً

(٤) كذا في (ب) و(خ) وصحاح الجوهري (ردف)، وفي المعارف ص ٦٥١، ونقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة ص ٢٩٩: غارت.

(٥) هو ربع الغنائم.